بحث بعنوان:

نَدْبُ العيد !!

لِمَ يندُبُ[1] كبارُ السِّنِّ ـ في كل زمَن ـ العِيدَ ؟!

لِمَ يغيب السرورُ عن كثير من الناس في العِيد ؟![2]

(١) النُّدْبَة والنَّدْبة: ندَب الميت يندبه ندباً، أي: بكى عليه وعدَّد محاسنه، والندبة تختص بذكر محاسن الموتى، أن تدعو النادبة الميت بحسن الثناء في قولها: وافلاناه، واهناه، وهو من الندب الجراح، لأنه احتراق ولذع من الحزن.
ينظر: « الصحاح» للجوهري (١/ ٢٢٣)، «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (٢/ ٧)، « تاج العروس» (٤/ ٢٥٣).

(٢) أصل هذه الفائدة مشاركة كتبتها (سنة ١٤٣٢هـ) في منتدى أسرتي الخاص: « منتدى أسرة المديهش» واستطردت فيه من باب إلى باب، ورأيتُ الآن أنْ أُفرِدَ منه: « نَدْبَ العيد» في مقال عام للنشر، مع إضافات وترتيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه،

أما بعد

فإن للمسلمين عيدين اثنين سنويين لا ثالث لهما، يأتيان بعد عبادة: الصوم، والحج، وفيهما عباداتٌ جليلة من صدقةٍ، وذبحٍ، وذكرِ الله، وقربات...

وفيهما فرَح مشروط بما أذن به الشارع الحكيم، فنحن عبيد الله في أرضه، نعمل بما شرع لا بما نشرع لأنفسنا ونهوى..

والفرح نوعان: محمود، ومذموم: [(١)]

المحمود: فرح بالمشروع من: تمام عبادة، وإعانة عليها، وحصول علم، ومال وبنين، وصحة، وغير ذلك... فرحاً وِفْق شرع الله.

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن القيم ـ ط. دار الصميعي ـ (٤/ ٢٩٨٥ و ٣٠٨٠ـ ٣١٠٧).

وفيه تفصيل عن: الفرح، والسرور، وأنه لا فرق بينهما خلافاً لمن فرَّق. والوصف بالفرح أكمل من معنى السرور، فقد ورد وصف الله بالفرح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ يونس: ٥٧ - ٥٨ فذكر الفرح بعد القرآن.

لذا قال المفسرون: فضل الله هو: الإسلام، ورحمته: القرآن.

وقد عُدَّ من مقامات الإيمان: الفرح بالله، والسرور به.

قال ابن القيم: (والله يحب من عبده أن يفرح بالعلم والقرآن والإسلام، ويُسرُّ به، بل يحب من عبده أن يفرح بالحسنة إذا عملها، ويُسَرُّ بها ، وهو فرحٌ بفضل الله حيث وفَّقَه لها، وأعانه عليها، ويسَّرها له). [(١)]

ومِن المذموم: الفرح بالمحرَّم، والباطل، والجهل، والإعراض عن الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ القصص: ٧٦

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤

---

(١) انظر: « مفتاح دار السعادة» لابن القيم ـ ط. دار الصميعي ـ (٤/ ٢٩٨٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ غافر: ٨٣

إنَّ بعض الناس إذا سمع الإذن بالفرح والاحتفال ظنَّ أنه أُطلق له ما كان محذوراً محرَّماً قبل الفرح، فترك نفسه وما تهوى، وترك لأولاده ما يريدون، واحتجَّ بالعيد = الفرح.

والأصل في الفرح وإظهاره في العيد

ما ورد في «الصحيحين» عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: دخل عليَّ أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تُغنِّيان بما تقاوَلَت به الأنصار يوم بُعاث، قالت: وليستا بمُغنِّيتين[(١)] ؛ فقال أبو بكر: أبمزمور الشيطان في

(١) المقصود: الحداء وتزيين الصوت ورفعه، دون فحش وآلات محرمة، ورُخِّص الدف للنساء في: العيد والزواج والفرح. قال الخطَّابي (ت ٣٨٨هـ) في «أعلام الحديث» (١/ ٥٩٤) : (قد بُيِّن في هذه الرواية أنهما لم تكونا مغنيتين، والمغنية التي اتخذت الغناء صناعة وعادة، وذلك ما لا يليق أن يكون بحضرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأما الترنم بالبيت والبيتين، وتطريب الصوت بذلك مما ليس فيه فحش أو ذكر محظور، فليس مما يسقط المروءة، أو يقدح في الشهادة، وكان عمر بن الخطاب لا ينكر من الغناء النَّصْب والحداء ونحوهما من القول، وقد رخص في ذلك غيرُ واحد من السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

=

=

وحكم اليسير من الغناء خلافُ حكم الكثير منه كقول الشعر يسيره مباح وكثيره حتى يسمى به شاعراً مكروه).

والمراد بالغناء هنا ليس الغناء المحرم المعروف في زماننا بأدوات الطرب والموسيقى فهو محرم بإجماع المسلمين، بل المراد ما يُعرف بالنشيد والحداء، فهذا مما يطلق عليه الغناء لغةً.

قال ابن حجر في « فتح الباري» (٢/ ٤٤٢) : (« ليستا بمغنيتين» فنَفَتْ عنهما من طريق المعنى ما أثبته لهما باللفظ؛ لأن الغناء يطلق على : رفع الصوت، وعلى الترنُّم الذي تسميه العرب النَّصَب ـ بفتح النون وسكون المهملة ـ ، وعلى الحداء، ولا يُسمَّى فاعلُه مُغنيًّا، وإنما يُسمَّى بذلك مَن ينْشُدُ بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق بما فيه تعريض بالفواحش أو تصريح.

قال القرطبي: قولها « ليستا بمغنيتين» أي: ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك، وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به، وهو الذي يحرِّك الساكن ويبعث الكامن...). انتهى المراد من « فتح الباري».

والدف إنما هو للنساء والجواري، في أوقات معلومة، دون الرجال، وهو مستثنى من تحريم المعازف:

قال ابن رجب (ت ٧٦٥هـ) في « فتح الباري» (٨/ ٤٣٣) : (وفي الحديث ما يدل على تحريمه في غير أيام العيد؛ لأن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّل بأنها أيام عيد، فدل على أن المقتضي للمنع قائم، لكن عارضه معارض وهو الفرح والسرور العارض بأيام العيد.

=

بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وذلك في يوم عيد ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يا أبا بكر إنَّ لكل قومٍ عيداً ، وهذا عيدنا** ».

وفي لفظ لمسلم : « جاريتان تلعبان بدُف ».(١)

وفي رواية في « الصحيحين » أيضاً : دخل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فأقبل عليه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « **دعهما** ». فلما غفَل غمزتهما فخرجتا ــ وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب ــ

=

وقد أقرَّ أبا بكر على تسمية الدف مزمور الشيطان، وهذا يدل على وجود المقتضي للتحريم لولا وجود المانع).

(١) « صحيح البخاري» الحديث رقم (٩٥٢)، « صحيح مسلم» حديث رقم (٨٩٢).

قال القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: في « إكمال المعلم» (٣/ ٣٠٨) : (وفيه جواز اللعب بالدفِّ في النكاح والأعياد وأفراح المسلمين ما لم يكثر ذلك، وهو الدف العربي المدوَّر بوجهٍ واحد، المسمى بالغربال).

قال ابن حجر في « فتح الباري» (٢/ ٤٤٣) : (ولا يلزم من إباحة الضرب بالدف في العرس ونحوه إباحة غيره من الآلات كالعود ونحوه).

فإما سألتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإما قال: « **تشتهين تنظرين** » ؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدِّي على خدِّه ،وهو يقول: « **دونكم يا بني أرفدة**». حتى إذا مللتُ قال: « حسبكِ» ؟ قلتُ: نعم، قال: « **فاذهبي** ».

وفي رواية : أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان من أيام منى تغنيان وتضربان ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، وقال: « **دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد**». وقالت: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وأنا جارية، فاقدُروا قدْرَ الجارية العَرِبة الحديثة السن.

وفي رواية في «صحيح البخاري» عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : «كان الحبش يلعبون بحرابهم، فسترني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أنظر، فما زلتُ أنظر حتى كنت أنا أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، تسمع اللهو.[(١)]

(١) « صحيح البخاري» حديث رقم (٥١٩٠)

ففي قوله: « وهذا عيدنا» وإقراره الجاريتين دليل على مشروعية إظهار الفرح في العيد.

قال الخطَّابي (ت ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وقوله: « وهذا عيدنا» يعتذرُ به عنها، يريد أنَّ إظهار السرور في العيد من شعار الدين وإعلان أمرِه والإشادَةِ بذكرِه، وليس كسائر الأيام سواء). (١)

قال ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (يريد إظهار السرور في العيد من شعائر الدين... (٢)

وقال ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وفي هذا الحديث من الفوائد: مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن من كلَف العبادة، وأن الإعراض عن ذلك أولى.

وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين...). (٣)

---

(١) « أعلام الحديث» (١/ ٥٩٥).

(٢) « فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٨/ ٤٢٦).

(٣) « فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٤٤٣).

وذكر الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أن إظهار السرور في العيد مندوب، وهو من الشـريعة التي شرعها الله لعباده ... [(١)]

قال النووي (ت ٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (قولها : « وأنا جاريـة فاقـدروا قدر الجارية العربة حديثة السن» معناه : أنها تحب اللهو والتفرج والنظـر إلى اللعب حباً بليغاً وتحرص على إدامته ما أمكنها، ولا تمل ذلك إلا بعـذر مـن تطويل.

وقولها: « فاقدروا» هوا بضم الدال وكسرها لغتان حكاهما الجـوهري وغيره، وهو من التقدير أي: قدروا رغبتنا في ذلك إلى أن تنتهي.

وقولها: « العَرِبة» هو بفتح العين وكسـر الراء والباء الموحدة ومعناها المشتهية للعب المحبة له . [(٢)]

ما العيد ؟

أكثر العلماء والأدباء والشعراء مـن وصـف العيـد، ومـا يجـري فيـه، وتعددت مذاهبهم في ذلك...

---

(١) « سبل السلام» (٢/ ٥٠٢).

(٢) « شرح صحيح مسلم» للنووي (٦/ ١٨٥)

والعيد معنى جميل في يوم، وليس اليوم ذاته مجرداً، بدليل أن عيد الفطر قد يختلف من بلد إلى بلد حسب الرؤية. و « الفطر يوم يفطر الناس». (١)

قال الرافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « العيد هو المعنى الذي يكون في اليوم ، لا اليوم نفسه». (٢)

وقال الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « العيد في حقيقته عيد القلب، فإن لم تملأ القلوبَ المسرَّةُ، ولم يترعها الرضا، ولم تعمها الفرحة، كان العيد مجرد رقم على التقويم». (٣)

فالقصد في العيد مع مشاعر الفرح: تنقية النفوس مما اعتراها من الكدر، والعلاقات وما تلبس بها من القذى والقطيعة ، « فنَقَاءُ الضمائر، وسيادة الوحدة في الصف والجمع الإسلامي؛ من أعظم أهداف المظهر

---

(١) من أجمل الكتب عن العيد، رسالة جامعية مطبوعة بعنوان: « الأعياد وأثرها على المسلمين» د. سليمان بن سالم السحيمي، ط. عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، مجلد فيه (٥٥٠ صفحة) ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

(٢) « وحي القلم» (١/ ٦٤).

(٣) « صور وخواطر» (ص٣٦٤).

الإسلامي الـذي تجـلى بـه العيـد». [1] « ومـن أراد معرفـة أخـلاق الأمـم فليراقبها في أعيادهـا ؛ إذْ تنطلـق السـجايا عـلى فطرتهـا، وتـبرز العواطـف والميول والعادات على حقيقتها؛ والمجتمع السعيد هو الذي تسـمو أخلاقـه الاجتماعية في العيد إلى أعلى ذروة». [2]

تَعرف المجتمعَ بعِيدها واجتماعاتها ، « فأعياد الأمم هـي الأيـام التـي تستعلن فيها خصـائص الشـعوب وذخائرهـا وأخلاقهـا الأدبيـة والعقليـة والنفسية والسياسية، هي الأيام المبتهجـة التـي تنـبض بالحيـاة وأسـبابها في الأمة....» [3]

قال الرافعي: يـومُ العيـد ، زمـن قصـير ضـاحك، هـو يـوم السـلام والبِشـر والضحك والوفاء والإخاء، وقول الإنسان: وأنتم بخير...

يومُ الزينة، يوم تقديم الحلوى إلى كلَّ فمٍ لتحلوَ الكلماتُ فيه ...

يومٌ تعُمُّ فيه الناسَ ألفاظُ الدعاء والتهنئـةِ مرتفعـةً ، فـوقَ منازَعـاتِ

---

(١) « الموزون والمخزون» لأبي تراب (ص٢٠٥).

(٢) « أخلاقنا الاجتماعية» للسباعي (ص١٧١).

(٣) « جمهرة مقالات محمود شاكر» (١/ ١٤٩).

الحياة ...[١]

وقال الرافعي أيضاً : ليس العيدُ للأمة إلا يوماً تعرض فيه جمال نظامها الاجتماعي، فيكون يومَ الشعور الواحد في نفوس الجميع، والكلمة الواحدة في ألسنة الجميع...

وقال:

ليسَ العيدُ إلا تعليمَ الأمَّةِ كيف تتَّسع روحُ الجِوار وتَمَتَدُّ ، حتى يرجع البلدُ العظيمُ وكأنَّه لأهلِه دارٌ واحدةٌ، يتَحقَّقُ فيها الإخاء بمعناه العملي ، وتظهر فضيلةُ الإخلاصِ مُستعلنةً للجميع ، ويُهدِي الناسُ بعضُهم إلى بعض هدايا القلوبِ المخلصةِ المحبة ، وكأنما العيدُ هو إطلاقُ رُوح الأسرةِ الواحدةِ في الأمَّةِ كُلِّها.

وقال:

وليس العيدُ إلا التقاءَ الكبارِ والصغارِ في معنى الفرح بالحياة الناجِحَةِ المتقدِّمَةِ في طريقها، وتَرْكَ الصغارِ يُلقون درسَهم الطبيعيِّ في حماسة الفرح والبَهجة، ويُعلِّمون كبارَهم كيف تُوضَع المعاني في بعض

---

(١) « وحي القلم» ـ ط. دار القلم ـ (١/ ٥٩) ـ بتصرف ـ .

الألفاظ التي فَرَغَتْ عندهم من معانيها، ويُبصِّـرونهم كيف ينبغي أنْ تعملَ الصفاتُ الإنسانية في الجموعِ عملَ الحليفِ لحِليفِهِ، لَا عمَلَ المَنَابِذ لمَنَابِـذِه؛ فالعيدُ يومُ تسلُّطِ العنصرِ الحَيِّ عَلى نَفْسِيَّةِ الشَّعْبِ. (١)

وقال علي الطنطاوي : (تمر الأيام متتابعة متشابهة لايكاد يختلف يـوم منها عن يوم، ثم يأتي العيد فتراه يومـاً لـيس كالأيـام، وتـرى نهـاره أجمـل، وتحـس بالمتعة أطول، وتبصـر شمسـه أضوأ ، وتجد ليله أهنـأ.

وما اختلفت في الحقيقة الأيام ذاتها ، ولكن اختلف نظرنا إليهـا؛ نسـينا في العيد متاعبنـا فاسرحنـا، وأبعـدنا عنـا آلامنـا فهنئنـا، وابتسـمنا للنـاس وللحياة فابتسمت لنا الحياة والناس، وقلنا لمن نلقـى أطيـب القـول: « كـل عام وأنتم بخير» فقال لنا أطيب القول : « كل عام وأنتم بخير».

في الحاشية علَّقَ بقوله: إن لم يكن بد من هذا التعبير فاحـذفوا واو « وأنـتم» قولوا : « كلَّ عام أنتم بخير»). (٢)

وبالمناسبة: صدرت رسالة في عام ١٤٣١هـ بعنـوان « رسـالة في

---

(١) « وحي القلم» ـ ط. دار القلم ـ (١/ ٦٤ـ ٦٥) .

(٢) « مع الناس» للطنطاوي (ص٢٦١).

كل عام وأنتم بخير متضمنة مسائل نادرة في النحـو والتصـــريف والبلاغـة وأصولهن» للأستاذ المبدع النحوي الأديب: فيصـل المنصـور (غـلاف ٩٦ صفحة). وقد انتهى إلى أن أبلغ الجُمَل : « كُلُّ عامٍ وأنتم بخـيـر». وذكـر جواز: « كلُّ عامٍ أنتم بخير» بدون الواو، و « كلَّ عامٍ وأنتم بخـير» بنصـب كـلَّ.

وخطّأ : « كلَّ عامٍ أنتم بخير» بنصب كل، وبدون الواو

وذكر أنَّ أبلغ العبارات هي الأولى ؛ لثلاثة أوجهٍ ذكرها في (ص٧٠).

وأقـولُ: أفضـلُ التهـاني عـلى الإطـلاق : (تقبـل الله منـا ومـنكم) ؛ لأمرين:

١. لأنها تهنئة ودعاء ، بخلاف الأولى فهي تهنئة مجردة.

٢. ولأنهـا تهنئـة صـحابة رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فـيما بيـنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ .

فابدأ بها، وارغب في إجابة دعوة من دعا لك بها، وأضف عليهـا ـ إن شئت ـ ما تعارف عليه الناس من « كلُّ عام وأنتم بخير» وغيرها من الجُمَل دون تكَلُّف وشقشقة.

ندب العيد !!!

كبار السن ـ في كل جيل ـ يظنون أن العيد قد تغيَّر ، والحقيقة أن غالب التغير من قِبَل أنفسهم ...!!

وكأنهم انحدوا من بيت المتنبي:

عيد بأية حالٍ عدت يا عيد * بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديد.[(١)]

كنت أظن أن العيد عند الأجداد أفضل من العيد في هذه الأيام :

« عيد الرسائل النصية» و« النت» والتهنئة ب« الواتساب» و « تويتر» و « الفيسبوك» ، و « الانستجرام» و « سناب شات»، والتصاميم الجاهزة « صورة» مذيَّلَةً باسم المرسِل، فيرسلها برسالة جماعية في « الواتساب» بضغطة زرٍّ واحدة، فتصل الجميع هكذا ساذجة باردة وهو يظن أنه أحسن صنعاً، أندى بها المشاعر، وقوَّى العلائق، وأدَّى صلة العيد !!

وبما أن الواتساب مجاني ميسور، لا تجد منه طيلة السنة (٣٦٠ يوماً) إلا هذه التميمة التي هي بالعقيقة أقرب.

---

(١) « اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص ٤٢١).

كنــتُ أظــن ذاك، وإذا بالكتبــة الكبــار (وبعضــهم في زمــن الأجــداد) يتحــدثون عــن فقــدان طعــم العيــد ، ولم يكــن قــد بلغــتهم ملهيات زماننا هذا ...

فوجدتُ مثلاً :

الرافعي المصـري (ت١٣٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « وحي القلـم» ــ ط. دار القلم ـ (١/ ٦٤)

والإبراهيمــي الجزائــري (ت١٣٨٥هــ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « آثــاره» (٤/ ٢٩١)

وحسن الزيات المصـري (ت ١٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقالين في مجلتـه « الرسـالة» في (١٣٥١ــ١٣٥٢هــ) تقريبـاً ، ونشــرها في كتابـه « وحـي الرسالة» (١/ ١٧، ١٠٥)

وأبا تراب الظاهري الحجازي (ت ١٤٢٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « المـوزون والمخزون» (ص٢٠٤)

وعـلي الطنطـاوي الدمشـقي الحجـازي في (ت ١٤٢٠هــ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ « من حديث الـنفس» (ص٨٩) ، وغـيرهم مـن الأعـلام الكبـار، ينـدبون العيد، وتغيره، ويبكون عليه !!

يذكر الرافعي أن أعيادنا تجيء كالحة عاطلة ممسوحةَ من المعنى، أكبرُ عملها تجديدُ الثياب، وتحديدُ الفراغ، وزيادةُ ابتسامة على النفاق ! فالعيد إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم، لا اليوم نفسه... (١)

ويدعو الأكابر إلى « تغيير النظرة الكالحة الممسوحة المعنى إلى النظرة الباسمة المليئة بالفرحة المغيرة للنفوس والأخلاق» (٢)

ولم يذكروا سبباً إلا تغيُّرَ الناس...

فهذا العلامة الإبراهيمي (ت ١٣٨٥ هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

(وأصبحوا يلقون أعيادهم بهمم فاترة، وحس بليد، وشعور بارد، وأسِرَّةٍ عابسة، وكأنها عملية تجارية تتبع الخصب والجدب، وتتأثر بالعسر واليسر، والنَّفاق والكساد؛ لاصبغة روحية ذاتية تؤثر ولا تتأثر) !!

وكأنه يُلفت للسبب في ذلك بقوله : (لاننكر أن عوائد الناس تابعة لأحوال الناس رقياً وانحطاطاً ؛ فالأمة الراقية ترقى في عاداتها في الغالب؛ لأن عاداتها تتشعب من مقوماتها...). (٣)

---

(١) « وحي القلم» (١/ ٦٤).

(٢) البشير الإبراهيمي.

(٣) « آثاره» (٤/ ٢٩٥).

وذكر الأديب: الزيَّات المصري (ت ١٣٨٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعليلاً تافهاً مضحكاً ! لهذا التغيُّر وهو: (غياب المرأة عن المجتمع الإسلامي). !

ولو عَلِم بتعليله هذا المنافقون: (من الجالية الأقلية اللبرالية وغيرهم من مرَدَة المنافقات) وغيرِهم ؛ لطاروا بها فرحاً ، ولجعلوها حجةً على المؤمنين، ألا ساء ما يزرون.

ومع كل ما سبق ، نجد في رجال اليوم (١٤٣٨هـ) مَن يرى أن العيد قبل عشرين، وثلاثين سنة من أمتع الأعياد ؛ رغم وجود الكتابات في ذلك الزمن تذكر أن العيد قد تغير، بتغير الناس !

وهكذا دواليك، كل جيل يندب العيد !

فما السبب ؟

يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الكل يذكر عيد طفولته مع آبائه، والطفولة تحمل فرحاً غير مشوب بِهَمٍّ وقَلَقٍ؛ وربما كانت طفولة فقيرة، تفرح بما تُؤتى في العيد من حلوى وجديد..

ولـمَّا تعالت سِنُّه ، وحمل هموماً وأسقاماً وقلاقل كالجبال ثقُلَتْ نفسُه عن تحمُّلِها؛ نغَّصت عليه العيد ، ولم يستطع الخروج الذهني منها إلى وقت الفرح والسرور، لذا لا يجدُ للعيد طعماً ، بل مرارةً و ثِقلاً ؛ لمسؤولية

السلام والاجتماع والزيارات ، والأولاد ، والهدايا وسائر التكاليف...

إذن الفرق:

- عيد الطفولة، وعيد الفقراء من جهة
- وعيد الكبار، وعيد الأغنياء من جهة مقابلة.

والجهة الأولى أسعد وألذ وأمتع، ولو بالقليل من المطعم والملبس والملعب.

وإن كان وقتنا هذا ـ فيما أزعم ـ أنه أكثر تعقيداً ومدنية وتكلفاً وتباعداً وتشاحناً من أي زمن مضى، وعليه فهو أبعدُ عن الفرحة الصادقة عند الكثيرين... يضاف إلى ذلك صعوبة إحداث ملبس ومطعم ومشرب جديد؛ وكذا لعبة وهدية جديدة، لكثرة النِّعم والرخاء طيلة العام[١]... فلسان حال كثير من الآباء: ماذا أُقدِّم في العيد من جديد ؟!!

أضف سبباً خفياً لضعف الفرح عند الكبار، هو : أن التباعد البدني طيلة العام؛ المورث للجفوة، له تأثير على تغيُّر النفوس واستبدال المتعة بالرسمية، وإذا دخلت الرسمية في ملتقيات الأُسَر، والجماعات في القرى

---

(١) عند كثير من البلدان التي ازدادت غِنى وثروة ـ والأمر في الغني نسبيٌّ ـ.

والقبائل، والجيران ، إذا دخلت في الأعياد ؛ حلَّت الكَلَفة وتوسَّط الثِّقل ، فأصبح اللقاء طارداً !! والفرح مصطنعاً، فأين السعادة إذن ؟!!

مصداق ذلك أن تقارن بين أعياد المدن وأعياد القرى، والقرى أكثر اجتماعاً طيلة السنة، وعيدهم أجمل وأمتع وليس ثمَّة مهرجانات واحتفالات وأسواق وطرب ومسرحيات !! كما في المدن.

كذلك قارن بين أعياد الأسر التي تجتمع كثيراً طيلة السنة ، مع الأسر التي لا تلتقي إلا في السنة مرَّة واحدة.

إذن طول الغياب مورث للجفوة والرسمية. والفرح لابد له من التبسط والأريحية.

ونجد أن كثيراً من الشباب يرغب في العيد مع أصدقائه مع أنه يراهم يومياً، لأنه يحبهم، و «لقاء الأحبة مسلاة الهموم» (١) ويجد معهم طرحَ الكَلَفَة، وكثيراً من معاني السرور ما لا يجدها في عيد أسرته أو أخواله أو جيرانه، ناهيك عن ضعف الوازع الديني في كثير من الشباب في أمر « صلة الرحم»، فالهدف عندهم المتعةُ لا غير.

---

(١) «بهجة المجالس» لابن عبدالبر (٣/ ١٩١).

الأطفال و الجواري و الشباب أولاً

يا عبدَ الله ، إذا فقدتَ طعمَ العيد فلا تُفْقِدْه أولادَك (احذر) ، فلقد ارتويتَ (أنتَ) منه أيام طفولتك، ولديك الآن أطفال ومَنْ في حُكْمِهم ، فلهم عليك حق في العيد ، وانظر في هدي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كيف أجاز الممنوع (الدف) لأجل العيد ، وقال: (هذا عيدنا) .....وإظهار السرور بالعيد من شعائر الدين ـ كما سبق ـ .

ولا تحتج بالعادات وما تلقيته من والديك وأجدادك، لأن « العادات يمكن تبديلها مهما تمكنت من الإنسان ، وكلُّ عمَلٍ تعمَلُه يكون ـ إذا واظَبْتَ عليه ـ بداية عادَةٍ جدِيدةٍ » [(١)].

جميلٌ أن تبحث كثيراً في حدود منطقتك، وقدرتك، ومالك أفكاراً لتصنع بها سروراً لأولادك، ف « جعل السرور فكراً ، وإظهاره في العمل» [(٢)] هو واجبك في العيد، فاستعد له قبل ذلك.

---

(١) « فصول اجتماعية» للطنطاوي (ص٥٦).

(٢) « وحي القلم» للرافعي.

قال الأديب الكبير: الرافعـي (ت ١٣٥٦ هــ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « الأطفـال لايعرفون قياساً للزمن إلا بالسرور.

وقال: الأطفال بثيابهم الجديدة يكونون هم أنفسهم ثوباً جديـداً عـلى الدنيا. ينتبهون الفجر للعيد فيبقى الفجر على قلوبهم إلى غروب الشمس !

وقال: « الأطفال يثيرون السخط بالضجيج والحركـة، فيكونـون مـع الناس على خلاف ؛ لأنهم على وِفَاقٍ مع الطبيعـة، وتحتـدم بيـنهم المعـارك، ولكن لاتتحطم فيها إلا اللُّعَب». [1]

وليس للإنسان أن يسأل: كيف أفرحُ بالعيد، وأُسعِد أولادي ؟!!

لأن هذا السؤال كقوله: كيف آكل، وأشرب، وأنام ؟!

مَنْ حَرِصَ عَلَى شَيءٍ ؛ وَجَدَهُ، وَرُبَّما يَحتَارُ فِيمَا يَخْتَارُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) « وحي القلم» للرافعي ـ ط. دار القلم ـ (١/ ٦٠ ـ ٦٣) بتصرف.

والحديث عن إظهار الفرح والسرور في العيد، وأنه من شعائر الدين؛ وأنَّ نَدْب الكبار للعيد، وعدم قيامهم بما يجب عليهم تجاه أولادهم، وظهور شئ من الحزن على سيماهم ، مما يُنغِّص على الأولاد والزوجات وغيرهم لرؤيتهم هذا الكبير وكأنه في مأتم !!

هذا الموضوع يأخذنا لموضوع أشمل، وهو القدرة على الفرح والسرور في المجتمعات الشرقية، مقارنة بالمجتمعات الغربية ، وهو ما طرحه بابتكار **الأديب المصري: أحمد أمين (ت ١٣٧٣هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ** في مقالة وَسَمَها بِ « **فنُّ السرور**»[1] أنتقي منها ما أراه مناسباً لمقالتي هذه، وبعض النقل فيه تصرف يسير:

---

(١) « فيض الخاطر» لأحمد أمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢/ ٢٠٠ـ ٢٠٤). وهو حديثٌ عامٌّ عن السرور وليس خاصاً بالعيد، ولا تخلو المقالة من ملحوظات .

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « مفتاح دار السعادة» ــ ط. دار الصميعي ـ (٤/ ٣٠٨٠ـ ٣١٠٧) حديثٌ عن السرور.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يُخطِئُ مَنْ يظنُّ أنَّ أسبابَ السرورِ كلَّها في الظروف الخارجية، فيشترطُ لِيُسَرَّ: مَالاً، وبنينَ، وصِحةً؛ فالسرورُ يَعتمدُ على النفس أكثرَ مما يعتمدُ على الظروف.

وفي الناس مَن يشقى في النعيم، ومنهم مَن ينعم في الشقاء؛ وفي الناس مَن لا يستطيع أنْ يشتريَ ضَحكةً عَميقةً بكُلِّ مالِه وهُو كثير، وفيهم مَن يستطيع أنْ يشتريَ ضحكاتٍ عاليةً عميقةً واسعةً بأتْفَهِ الأثمان، وبِلا ثَمَنٍ).

ويتأسَّفُ الأستاذُ: أحمد أمين لأنَّ كميةَ السرورِ في مصر والشرق قليلةٌ، مع يُسرِ الحياة وكثرةِ الخيرات — في زمنه —، وقِلَّة المصايب من الحروب، فهي أقل من الغرب!

وبدأ يعدد أسباب قلة السرور في الشرق مقارنة بالغرب، فذكر عدداً تأخذُ منها وتَذَرُ ...

مِن الأسباب قوله: (أول درس يجب أن يُتعلَّم في فنِّ السرور: « قوة الاحتمال» فأكبر أسباب الشقاء: رخاوة النفس وانزعاجها العظيم للشيء الحقير؛ فما إنْ يُصاب المرءُ بالتَّافِه من الأمر حتى تَراه حَرِجَ

الصدر، لهيفَ القلب، كاسِف الوجه، ناكِس البصر، تتناجى الهمومُ في صدره، وتقضُّ مضجعَه، وتُؤرِّق جفنَه.

وهيَ وأكثرُ منها إذا حدثَتْ لمن هُو أقوى احتمالاً، لم يُلقَ لها بالاً، ولم تُحَرِّك منه نَفْساً، ونامَ ملءَ جُفُونه رَضِيَّ البال فارغ الصدر).

وذكر من الفوارق أن تاريخ الغرب الحربي متسلسل متتابع ـ في زمانه وقبله ـ، ومن مزايا الحروب أنها تصهر الأمم، وتُرخص الحياة، وتُهوِّن الموت، وإذا رخصت الحياة وهان الموت؛ رأيت المرءَ لا يعبأ بالكوارث إلا بقدر محدود؛ وإذا كان لا يهاب الموت فأولى ألا يهاب ما عداه؛ لأنَّ كل شيء غير الموت أهون من الموت؛ فكل أسرة أوربية لها رجال فُقِدوا في الحرب؛ أو أصيبوا في الحرب أو ابتُلوا بنوع من كوارث الحرب؛ فعلَّمتهم أن يتقبلوا هذه الرزايا بقوة احتمال، ونشأ عن هذا أنهم لا يُنغِّصون حياتَهم بذكرى الرزايا؛ فالأولى ألَّا يُنغصوها بتوافه الأمور.

وقال: (أما أُمَمُ الشرق فقد مرَّ عليهم دهرٌ طويل لم يكونوا فيه أمماً حربية؛ بل كانوا مستسلمين وادعين، يتولى غيرهم الدفاع عنهم، وإن حاربوا فحرب الضرورة، وحرب الأفراد لا حرب الشعوب، فاستفظعوا الموت، وغَلوا في الحرص على الحياة، ولم يصابوا بكوارث

شعبية يستعذبون معها الموت والتضحية، وتبع ذلك رخاوة العيش، وعدم القدرة على الاحتمال، وتهويل الصغائر، والجزع من توافه الأمور، ولا دواء لهذا إلا التربية القوية، وبث الأخلاق الحربية).

قلت: وقد انعكست الحال الآن، فأصبح الشرق مليء بالمصائب والحروب والكوارث والفواجع، وبلاد الغرب وادعة ساكنة من عشرات السنين، والأمر لم يتغيَّر في موضوع «السرور» !! فسقط هذا السبب !

بل إني أرى أنَّ الشرق أكثرُ راحة ومتعة من الغرب، رغم الفقر، وقلة المتع عند المسلمين في المشرق؛ ودليل ذلك: قلة أو انعدام المصحات النفسية في بلدان المسلمين في أزمنة سابقة، بخلاف الدول الغربية.

كذلك وجود حالات الانتحار في الغرب حتى بين كبار المتعلمين منهم، وانعدام ذلك في المشرق ــ خاصة في زمن أحمد أمين في أوائل ومنتصف القرن الرابع عشر الهجري ـ .

والغربي ليس له إلا ابن واحد أو بنت واحدة، يطردهما بعد البلوغ أو يطلب منهما دفع مال مقابل المعيشة عنده، وليس عند غالبهم حقوق: حق الوالدين، الأقارب، الجار، اليتيم، المسكين، فليس للوالدين بر

ورحمة، ولا الأقارب صلة، أما الأسرة بمعناها الصحيح[١] ـ كما عند المسلمين ـ، فهي من نوادر النوادر عندهم، فأي التزامات مالية ووقتية، وصلة رحم لدى الغربي، عنده: وظيفة، وبيت صغير جداً، وملهى؟

بينما الشرقي تجد عنده: بنين عدداً، وأرحاماً كثيرة، ومناسبات متعددة، والتزامات فرضتها الحياة ـ بتعقيدات الشرقيين وتكلُّفهم ومباهاتهم ـ، مع زيادة الأمراض مقارنة بالغربيين؛ كل هذا مما يزيد من أغلال النفس والبدن ؛ فيُضعِف شيئاً من إظهار الفرح والسرور مقارَنة بالحمار الزاني، الذي يأكل ويشرب وينام، كالأنعام بل هو أضل كما وصفهم الله تعالى في كتابه، ومع ذلك هم في غمرات الهم والحزن والضيق والاكتئاب رغم متع الحياة المفتوحة على مصراعيها وجمال الطبيعة و ...

وقال الأستاذ: أحمد أمين: (وسبب آخر لقلة السرور في الشرق، وهو: سوء النظم الاجتماعية؛ ففي كل بيت محزنة من سوء العلاقات الزوجية والعلاقات الأبوية، وفي كل مصلحة أهلية أو حكومية مأساة

(١) لا أقصد العائلة = البيت الواحد من عائل واحد.

من سوء العلاقات المصلحية، وأحاديث الـدرجات والعـلاوات، وعـدم التعاون في حمل الأعباء، وبناء المعاملات على الفوضى والمصادفات .

ثم عدم القدرة على خلق أسباب السـرور الاجتماعيـة؛ فاجتماعـات المنازل التي تبعث السـرور محدودة ضيقة نـادرة، وفي كثـير مـن الأحيـان تنتهي بمنغصات.

والملاهي العامة إما داعرة لا تُرضي الذوق السـليم، ولا ترمـي إلى غرض شريف، وإما تافهة لا يرقيها ذوق؛ ... إلى أن قال:

(ومع هذا كله ففـي اسـتطاعة الإنسـان أن يتغلَّـب عـلى كـل هـذه المصاعب، ويخلـق السرـور حولـه، وجُـزءٌ كبـير مـن الإخفـاق في خلـق السـرور يرجع إلى الفرد نفسه !! بـدليل أنـا نـرى في الظـروف الواحـدة والأسرة الواحدة والأمَّة الواحـدة مَـن يسـتطيع أن يخلـق مـن كُـلِّ شيءٍ سروراً، وبجانبـه أخـوهُ الـذي يَخلِـقُ مِـن كُـلِّ شيء حُزْنـاً؛ فالعامـل الشخصـي ــ لا شك ــ له دخـلٌ كبـيرٌ في خلـق نـوع مـن الجـوِّ الـذي يتنفس منه... إلخ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولعلَّ مِن أهم أسباب الحزن: ضيقَ الأفق، وكثـرةَ تفكيرِ الإنسان في نفسِه، حتى كأنها مركزُ العالم، وكـأنَّ الشـمسَ والقمـرَ

والنجومَ والبحارَ والأنهارَ والأمَّةَ والحكومةَ والميزانيةَ والسعادةَ والرخاءَ كلَّها خُلِقَتْ لِشَخصِه؛ فهو يَقِيسُ كلَّ المسائل بمقياس نفسِه، ويُديمُ التفكيرَ في نفسِه وعلاقةِ العالمِ بها، و هذا ـ من غيرِ رَيْب ـ يُوجِدُ البؤسَ والحزنَ ؛ فمُحَالٌ أن يجري العالَمُ وِفْقَ نفسِه؛ لأنَّ نفسَه ليست المركز، وإنما هي نقطة حقيرة على المحيط العظيم، فإنْ هو وسَّعَ أُفُقَهُ، ونظَرَ إلى العالم الفسيح، ونسيَ نفسَهُ أحيَاناً، ونَسِيَ نفسَه كثيراً ؛ شَعُرَ بأنَّ الأعباءَ التي ترزحُ تحتَها نفسُه، والقيودَ الثقيلةَ التي تثقلُ بها نفسُه قَدْ خَفَّتْ شَيئاً فشَيئاً، وتحلَّلَتْ شَيئاً فشيئاً.

وهذا هو السببُ في أنَّ أكثر الناس فراغاً أشدُّهم ضِيقاً بنَفْسِهِ، لأنَّه يجدُ مِن زمنه ما يطيل التفكير فيها إلى درجَةِ أنْ يُجن بنفسه؛ فإن هو استغرق في عملِه، وفكَّر في أمته، وفكَّر في عالَمِه؛ كان له من ذلك لذة مزدوجة: لذَّةَ الفِكْرِ وَالعمَلِ، ولذَّةَ نِسيانِ النَّفْسِ.

ونصح الأستاذ أحمد أمين : بأن يقبض الإنسان على زمام تفكيره؛ فيُصَرِّفَهُ كما يشاء؛ فإن هو تعرض لموضوع مُقْبِضٍ، عدل عنه إلى موضوع آخر...

وذكر من الدروس أيضاً: (ألاَّ تقدِّرَ الحياةَ فوق قيمتِها؛ فالحياةُ هيِّنَةٌ، وكُلُّ مَا فيها زائلٌ؛ فاعمَلْ الخيرَ مَا استطعْتَ، وافرَحْ مَا استطَعْتَ، ولا تَجْمَعْ عَلى نَفْسِكَ الألمَ بِتَوقُّعِ الشَرِّ، ثُمَّ الألم بوقوعه !! فيَكفِي في هذه الحياة ألمٌ واحِدٌ للشَرِّ الواحد).

وختم مقالته بأن يتصنَّع الإنسان الفرح والسرور والابتسام للحياة؛ حتى يكون التطبُّعُ طَبْعَاً.

انتهى المراد نقله من مقالة « فن السرور» لأحمد أمين.[1]

والحقيقة التي لا تقبل الامتراء: أن السعادة والسرور والفرح والبهجة كلَّها من القلب، وأنه لا حياة للقلب ولا سعادة ولا سرور إلا بالله وحده، فإذا فرح القلب اطمأن، وظهر الفرحُ على الوجه والأعضاء، وسَعِد حقاً لا تكلُّفاً، وفَرَحُ القَلْبِ إنما هو بالله وحده لا بالمال ولا بالولد ولا بالسياحة ولا بالفُرجَة ولا بالمنصب ولا بأي شيء، فوالله لو كان الإنسانُ فقيراً مدقعاً، كثير العلل والأمراض، وتعلَّق بالله لملأ الله قلبه فرحاً وحبوراً وطمأنينة وبشراً وسعادة، والعكس لو كانت الدنيا وما

(١) « فيض الخاطر» لأحمد أمين (٢/ ٢٠٠ـ ٢٠٤) بتصرف يسير.

فيها من المتع الحلال والحرام بين يديه، وهو معرض عن الله؛ لضاقت الدنيا كلها عليه، وأصبح ضيقاً حرَجاً كأنما يصَّعَّد في السماء... [١] دليل ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ الزخرف: ٣٦

---

(١) قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين» (٤/ ٣٠٩٦):

(ففي القلب: شَعَثٌ، لا يلُمُّه إلا الإقبالُ على الله.

وفيه: وحشةٌ، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

وفيه: حُزنٌ لا يُذهِبه إلا السرورُ بمعرفته وصِدق معاملته.

وفيه: قَلَقٌ لا يُسكِّنُه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

وفيه: نيرانُ حسراتٍ لا يُطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيه: طَلَبٌ شديد، لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.

وفيه: فاقةٌ، لا يسدُّها إلا محبتُه، والإنابةُ إليه، ودوامُ ذكره، وصدقُ الإخلاص له، ولو أُعطي الدنيا بما فيها، لم تُسَدَّ تلك الفاقةُ منه أبداً).

وهل يسعد مَن كان الشيطان قرينه ؟!

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ
يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ
كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ
بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ طه: ١٢٤ - ١٢٧

وصلاة الفجر مفتاح السعادة والسرور:

لما في « الصحيحين» من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاث عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا ـ وفي رواية البخاري: عليك ليل طويل ـ ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ». (١)

والسرورُ في الدنيا قليلٌ، وإن كان القلب مطمئناً مرتاحاً بالله، لأن

---

(١) « صحيح البخاري» حديث رقم (١١٤٢) ، ورقم (٣٢٦٩)، و « صحيح مسلم» حديث رقم (٧٧٦).

الدنيا جُبلَت على كدَر، قال ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (إنَّ الـدنيا لا تتخَلَّصُ أفراحُها من أحزانِها وأتراحِها البتة.

بل ما مِن فرحة إلا ومعها تَرْحَةٌ سابِقَةُ، أو مُقَارِنَةٌ، أو لَاحِقَةٌ.

ولا تتجرَّد الفرحة، بل لا بُـدَّ مِـن تَرحَـةٍ تُقارنهـا، ولكـن قـد تقـوى الفرحة على الحزن فينغمر حُكمُه وألَـمُه مع وجودها، وبالعكس). [(١)]

أخيراً :

العيدُ فرَحٌ شَرْعِيٌّ، مـع ذكـرِ الله وشُكْرِه، وحُسـنِ عبادتـه، **ومـن عبادته**: السلام، والبشاشة، وصلة الرحم ، والصدقة، وإدخال السـرور، وإظهار التكبير في عيد الأضحى، وزكاة الفطر ، وذبح الهدي والأضاحي و....

وليس من مستلزمات العيد عقلاً ولا شرعاً ولا عـادةً للمسـلمين: أن يُفعـلَ المنكـر، ويُجـاهرَ بـه، ويُفـرح بـه، مـن أغـانٍ، وخمـور، وتعـرٍّ، واختلاطٍ بين الرجال والنساء، وإسرافٍ في المأكـل والمشـرب، وتضـييعٍ للصلوات، وتقصيرٍ في الواجبات من صلة الرحم، وغيرها.

---

(١) «مدارج السالكين» (٤/ ٣٠٨٩).

واحذر أن تقصدَ مكاناً تعلو فيه أصوات المنكر، وتجدُ النساءَ فيه كاسياتٍ عارياتٍ، كما في شواطئ بعضِ الدول الغربية والشبيهةِ بالدول الغربية، فإنَّ ذلك مُخِلٌّ بالديانة، إلا إذا أنكرْتَ عليهم، فإما زوالُ المنكر فتجلس، أو بقاؤه فتذهب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنعام: ٦٨

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ النساء: ١٤٠

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في « مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٢٣٩) : عن رجُلٍ مَقبولِ القَولِ عند الحُكَّامِ، يخرُجُ للفُرْجَةِ في الزَّهَرِ في « مَواسم الفَرَجِ» حيث يكونُ مَجمَعَ الناسِ، ويَرى المنكرَ ولا يَقْدِرُ عَلى إزالَتِهِ، وتَخْرُجُ امرَأَتُهُ أيضاً مَعَهُ.

هَل يجوز ذلك ؟ وهل يَقدَحُ في عَدَالَتِهِ؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقدَّس رُوحَهُ في عِلِّيِّين: (لَيس لِلإنسانِ أنْ يَحْضُرَ الأمَاكِنَ التي يَشْهَدُ فيهَا المنكراتِ، ولا يُمْكِنُهُ الإنكَارُ؛ إلَّا لِمُوجِبٍ شَرعِيٍّ، مثل: أنْ يكون هناكَ أمرٌ يحتاجُ إليه لمصلحةِ دينهِ أوْ دُنياهُ، لا بُدَّ فيهِ مِن حضورِه، أو يكونَ مُكرَهاً.

فأمَّا حُضُورُهُ لمجرَّدِ الفُرْجَةِ وَإحضَارِ امرأَتِهِ تُشَاهِدُ ذلِكَ؛ فهَذَا مما يقدَحُ في عدَالَتِهِ ومُرُوءَتِهِ إذَا أصَرَّ عَلَيه . والله أعلم).

اللهم أدم الإيمان والتوحيد والسُّنَّة والأمن والرخاء والاجتماع في بلادنا وجميع بلاد المسلمين، اللهم اكفنا شر الأشرار وكيد الفجار، وشر ما اختلف عليه الليل والنهار.

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبعفوك عمن سواك.

اللهم اجعل لنا من كل همٍّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية، يارب اشرح صدورنا، ويسر أمورنا، وارزقنا سعادة الدارين.

اللهم اعمُر قلوبنا بذكرك، واجعل القرآن والسنة النبوية ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وارفعنا بهما في الدنيا والآخرة.

اللهم استعملنا فيما يرضيك، يـاربِّ حبِّبْ إلينـا الإيـمان، وزيِّنْـهُ في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومَن اتبع هـداه، وسلِّمْ تسليماً كثيراً.

كتبه:

إبراهيم بن عبدالله المديهش

الرياض

نشرة خاصة: (١٢/ ١٤٣٢هـ)

ثم أعدت ترتيبه وزدت عليه في هذه:

النشرة الأولى: (١٢/ ١٤٣٨هـ)